

واقع الهجرة والتكيف بالمجتمعات بين الماضي والحاضر

(هجرة المسلمين وتهجير السوريين)

أ.د. عبدالرحمن حسين* د. عبدالجبار الزبيدي**

ملخص البحث:

يهدف بحثنا لدراسة موضوع اللاجئين السوريين والتكيف الاجتماعي مع المجتمعات التي لجأوا إليها خلال فترة الثورة السورية. قمنا بدراسة واقع الهجرة والتهجير بين الماضي والحاضر، وما هي حالة المجتمعات التي وصل إليها المهاجرين بعد الهجرة وما هو واقع المهاجرين؟. الأصل أن الأرض كلها لله يورثها من يشاء لعباده. مشروعية الهجرة إذا اشتد الظلم والضغط ومكاره الحياة وتأييد ذلك من نصوص الكتاب والسنة، وواقع الجيل الأول متمثلاً في هجرة المسلمين بعد الحصار على الحبشة، وإلى المدينة بعد ذلك. أوجه الشبه بين واقع الناس اليوم وحال الناس في زمن النبي عليه الصلاة والسلام. بيان الفارق بين الهجرة إلى البلدان الإسلامية، والهجرة إلى بلاد الكفر، والآثار الناتجة عن ذلك. ضرورة إرشاد المهاجرين إلى ما فيه صلاحهم وخيرهم على المدى القصير وال المدى البعيد. قمنا من خلال ما ذكرناه بدراسة مقارنة وتحليلية تبين أسباب وحالات الهجرة الإسلامية في الماضي واندماجهم بالمجتمعات ونشر الدعوة وواقع هجرة السوريين وتأقلم المهاجرين مع المجتمعات في بلدان اللجوء. نبين من خلال الدراسة أثر الواقع الديني في التكيف الاجتماعي بين حالات مجتمعات إسلامية أو غير ذلك.

* - أ.د. عبد الرحمن حسين: دكتوراة جامعة سيليسيا التقنية - اختصاص تحكم آلي - قسم الحاسوب والتحكم والالكترونيات - بولونيا 1991م، إجازة في الهندسة الكهربائية - اختصاص الكترون 1981م، الآن أستاذ بجامعة إسطنبول في كلية الهندسة الكهربائية والالكترونية، قسم التحكم والقيادة، وأستاذ بالجامعة العثمانية باسطنبول تركيا.

** - الدكتور عبد الجبار الزبيدي: عضو الأمانة العامة للمجلس الإسلامي السوري، رئيس لجنة الفتوى في الهيئة العامة للعلماء المسلمين في سورية، وأستاذ الحديث والثقافة الإسلامية والفقه والسيرة النبوية وأصول البحث العلمي في عدد من الجامعات العربية والإسلامية، وحالياً: رئيس جامعة العثمانية - بتركيا.

مقدمة:

الهجرة بالتعريف هي خروج الناس من ديارهم تاركين أرزاقهم وأعمالهم وأهاليهم خشية حاكم ظالم أو خشية اعتداء أو قتل أو غير ذلك بحثاً عن ملاذ آمن. وهي حركة الأفراد التي يتم فيها الانتقال بشكّل فردي أو جماعي من موطنهم الأصلي إلى وطن جديد، وعادة ما توجد ظروف عديدة تؤدي إلى الهجرة، مثل انتشار الحروب الأهلية أو الخارجية في الدول، أو سوء الأوضاع الاقتصادية والتي تُعتبر من المحفزات للهجرة. وتحرص دول المهجر على تطبيق مجموعة من الآليات القانونية والتشريعية، والتي تضمن حماية واحترام كامل حقوق المهاجرين.

وتقسم الهجرة إلى مجموعة من الأنواع، ومنها: **الهجرة الداخلية**: هي هجرة السكان من منطقة إلى أخرى في نفس وطنهم؛ أي في داخل حدود الدولة، ومن الأمثلة عليها الهجرة من الريف إلى المدينة. وانتشر مفهوم الهجرة الداخلية ليُسمى نزوح المواطنين من المناطق غير الآمنة للمناطق الآمنة في ظل الحروب والثورات. **الهجرة الخارجية**: هي هجرة الأفراد من وطنهم؛ أي خارج حدود الدولة إلى دولة أخرى قريبة أو بعيدة عن دولتهم الأصلية. **الهجرة السرية**: هي من أخطر أنواع الهجرة؛ إذ تعتمد على الهروب السري من دولة إلى أخرى دون استخدام وثائق ثبوتية، أو أي أوراق رسمية، وغالباً ينتج عن هذا النوع من الهجرة العديد من النتائج السلبية على المهاجرين، مثل: القبض عليهم، أو تعريض حياتهم للخطر، والذي قد يؤدي بهم في النهاية إلى الموت. وقد تكون ضمنها حالات انشقاق الأفراد العسكريين والمدنيين عن الحكومات في ظل الحروب والثورات.

الهجرة أيام الرسالة المحمدية:

الهجرات في التاريخ كثيرة وكانت أسبابها البحث عن معيشة أفضل أو رزوق أوفر أو خوفاً من ظلم قائم. فعندما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت خشية النبي على أصحابه من ظلم قريش. فالهجرة عبادة عظيمة ندب إليها ربنا ونبينا صلى الله عليه وسلم..

فما الهجرة؟

الهجر ضد الوصل. والهجرة مفارقة أرض إلى أرض. وهجرت الشيء إذا تركته¹.

وأما الهجرة في الاصطلاح: فترك دار الكفر إلى دار الإسلام².

وقال ابن حجر: الهجرة "ترك ما نهى الله عنه"³.

الأمر بها:

قال تعالى: {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ} (العنكبوت: 56).

قال ابن كثير - رحمه الله -: "هذا أمر من الله لعباده المؤمنين بالهجرة من البلد الذي لا يقدر فيه على إقامة الدين، إلى أرض الله الواسعة، حيث يمكن إقامة الدين، بأن يوحدوا الله ويعبدوه كما أمرهم"⁴.

وعن الحارث الأشعري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «وَأَنَا أَمْرُكُمْ بِخَمْسِ اللَّهِ أَمْرَيْنِ يَهْنُ: السَّمْعُ، وَالطَّاعَةُ، وَالْجِهَادُ، وَالْهَجْرَةُ، وَالْجَمَاعَةُ» أخرجه الإمام أحمد في المسند والترمذي في الجامع.

¹ انظر لسان العرب (5/250)، مادة (هجر).

² التعريفات للجرجاني (256).

³ الفتوح (1/16).

⁴ تفسير القرآن العظيم (6/290).

فضل الهجرة:

الإيمان الصادق:

قال تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَأُ وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} (الأنفال:74).

الأجر الجزيل:

فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي فاطمة الضمري رضي الله عنه: «عليك بالهجرة؛ فإنه لا مثل لها» رواه النسائي.

الرزق:

قال تعالى: {وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافِعًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} (النساء:100).

"والظاهر - والله أعلم - أن المرافع التمتع الذي يتحصن به، ويراعم به الأعداء. قوله: {وَسَعَةً} يعني: الرزق. قاله غير واحد، منهم: قتادة، حيث قال في قوله: {يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافِعًا كَثِيرًا وَسَعَةً} إي والله، من الضلالة إلى الهدى، ومن القلة إلى الغنى"⁵.

ومن ذلك أن الله سبحانه يعوضهم خيراً مما تركوا، ومن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه..

قال تعالى: {وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} (النحل:41).

قال الطبري رحمه الله: "لنسكنهم في الدنيا مسكناً يرضونه صالحاً"⁶.

وقد تعقب الإمام الطبري رحمه الله من قال إن المراد: لنرزقهم في الدنيا رزقاً حسناً الحسن بقوله: "التبوء في كلام العرب الحلول بالمكان، والنزول به"⁽⁶⁾.

الرحمة:

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (البقرة:218).

المغفرة:

قال تعالى: {ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} (النحل:110).

ولما أراد عمرو بن العاص رضي الله عنه أن يشترط على النبي صلى الله عليه وسلم عند بيعته، قال له نبي الله صلى الله عليه وسلم: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَأَنَّ الْهُجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا، وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ» رواه مسلم.

الجنة:

قال تعالى: {فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِمَّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ} (آل عمران:195).

⁵السابق (2/391).

⁶تفسير الطبري (17 / 205).

وقال: {الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ. يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ} (التوبة: 20-21).

وقال: {وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَبِرْزَقَتِهِمْ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} (الحج:58).

قال ابن كثير: " {ثُمَّ قُتِلُوا} أي: في الجهاد. {أَوْ مَاتُوا}، أي: حتف أنفسهم، أي: من غير قتال على فرشهم. فقد حصلوا على الأجر الجزيل، والثناء الجميل"⁷.

وفي سنن النسائي عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَنَا رَعِيمٌ لِمَنْ آمَنَ بِي، وَأَسْلَمَ، وَهَاجَرَ بَيْتِي فِي رَيْضِ الْجَنَّةِ، وَبَيْتِي فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ».

وعن سيرة بن الفاكه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الشيطان قعد لابن آدم بطريق الإسلام، فقال: تسلّم وتذر دينك ودين آبائك! فعصاه فأسلم، فغفر له. فقعد له بطريق الهجرة، فقال له: تهاجر وتذر دارك وأرضك وسمائك! فعصاه فهاجر. فقعد بطريق الجهاد، فقال: تجاهد فتقاتل فتقتل فتنتكح المرأة ويقسم المال! فعصاه فجاهد. فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله أن يدخله الجنة، وإن غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة، وإن وقصته دابة كان حقا على الله أن يدخله الجنة» رواه النسائي، وابن حبان في صحيحه، والبيهقي.

أنواع الهجرة:

يمكن تقسيم الهجرة إلى نوعين أفصح عنهما سلطان العلماء العز بن عبد السلام رحمه الله بقوله: "الهجرة هجرتان: هجرة الأوطان، وهجرة الإثم والعدوان. وأفضلهما هجرة الإثم والعدوان؛ لما فيها من إرضاء الرحمن، وإرغام النفس والشيطان"¹⁰. ولعلّ العزّ - رحمه الله - قصد أن هذه الهجرة متجددة، بخلاف ترك الوطن فإنه يكون مرة غالباً؛ والمتجدد أكثر أجراً، وإلا فإن الأولى لا يقارن بها شيء، والعلم عند الله تعالى.

فالهجرة هجرتان: معنوية، وحسية.

المعنوية: هي الهجرة من الكفر إلى الإسلام، ومن البدعة إلى السنة، ومن الشرك إلى توحيد الله، ومن المعصية إلى الطاعة.

ثبت في سنن أبي داود أنه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: أي الهجرة أفضل؟ فقال: «من هجر ما حرم الله» رواه أبو داود.

وفي صحيح البخاري، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ».

وأما الهجرة الحسية فهي أربعة أنواع:

الأول: الهجرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة، وهذه أشرف الهجرات وأفضلها على الإطلاق. وهذه خصّ الله - تعالى - بها سادات الأولياء من المهاجرين - رضي الله عنهم وأرضاهم -.

وتأمل هذا الحديث لتعرف عظيم قدرهم..

عن جابر رضي الله عنه أن الطُّفَيْلَ بْنَ عَمْرٍو الدَّوْسِيَّ أْتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ لَكَ فِي حِصْنِ حَصِينٍ وَمَنْعَةٍ؟ حِصْنٌ كَانَ لِدَوْسٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟ فَأَبَى ذَلِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لِذِي دَخَرَ اللَّهُ

⁷ تفسير القرآن العظيم (5/443).

⁸ في جانبها وطرفها بداخلها.

⁹ متوسطها.

¹⁰ شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال (383).

لِلْأَنْصَارِ. فَلَمَّا هَاجَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ هَاجَرَ إِلَيْهِ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو وَهَاجَرَ مَعَهُ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَاجْتَوَوْا¹¹ الْمَدِينَةَ، فَمَرَضَ، فَجَزَعُ، فَأَخَذَ مَسَاقِصَ¹² لَهُ فَقَطَعَ بِهَا بَرَاجِمَهُ¹³، فَشَحَبَتْ يَدَاهُ¹⁴ حَتَّى مَاتَ. فَرَأَهُ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فِي مَنَامِهِ، فَرَأَهُ وَهَيْئَتُهُ حَسَنَةً، وَرَأَهُ مُعْطِيًا يَدَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: مَا صَنَعَ بِكَ رَبُّكَ؟ فَقَالَ: غَفَرَ لِي؛ بِوَجْزِي إِلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ¹⁵. فَقَالَ: مَا لِي أَرَاكَ مُعْطِيًا يَدَيْكَ؟! قَالَ: قِيلَ لِي: لَنْ نُصَلِّحَ مِنْكَ مَا أَفْسَدْتَ. فَفَصَّهَا الطُّفَيْلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «اللَّهُمَّ وَلِيَدَيْهِ فَاعْفِرْ» رواه مسلم.

الثاني: الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام.

ويأتي الكلام عن حكمها وأنواعها.

الثالث: هجرة أرض السوء إلى أرض الصلاح.

ودليلها قصة قاتل المائة نفس¹⁶.

قال النووي رحمه الله: "قال العلماء: في هذا استحباب مفارقة التائب المواضع التي أصاب بها الذنوب، والأخذ بالمساعدين له على ذلك، ومقاطعتهم ما داموا على حالهم، وأن يستبدل بهم صحبة أهل الخير والصلاح والعلماء والمتعبدين والورعين ومن يقتدى بهم، وينتفع بصحبتهم، وتؤكد بذلك توبته"¹⁷. وقال الحافظ: "فيه إشارة إلى أن التائب ينبغي له مفارقة الأحوال التي اعتادها في زمن المعصية، والتحول منها كلها والاشتغال بغيرها"¹⁸.

الرابع: الهجرة إلى الشام في آخر الزمان عند ظهور الفتن.

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «سَتَكُونُ هِجْرَةٌ بَعْدَ هِجْرَةٍ، فَخِيَارُ أَهْلِ الْأَرْضِ الَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ شِرَارُ أَهْلِهَا، تَلْفِظُهُمْ أَرْضُهُمْ، تَقْدِرُهُمْ نَفْسُ اللَّهِ، وَتَحْشُرُهُمُ النَّارُ مَعَ الْقَرْدَةِ وَالْخَنَازِيرِ»¹⁹.

حكم الهجرة:

أما الهجرة المعنوية فواجبة على كل أحد.

وأما الهجرة الحسية فالناس فيها أربعة أقسام:

القسم الأول: من تجب عليهم ويأثمون بتركها.

وذلك في حق من يقدر عليها ولا يمكنه إقامة واجبات دينه في ديار الكفر. قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَنَهَاجِرُوا فِيهَا قَالُوا لَنْك مَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} (النساء: 97).

¹¹ قال النووي: "هُوَ بَضْمُ الْوَاوِ الثَّانِيَةِ صَمِيرٍ جَمْعٌ، وَهُوَ صَمِيرٌ يَعُودُ عَلَى الطُّفَيْلِ وَالرَّجُلِ الْمَذْكُورِ وَمَنْ يَبْتَلِقُ بِهِمَا، وَمَعْنَاهُ: كَرَهُوا الْمَقَامَ بِهَا؛ لِضَجْرِ، وَنَوْعٍ مِنْ سَقَمٍ. قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ وَالْجَوْهَرِيُّ وَغَيْرُهُمَا: اجْتَوَيْتَ الْبَلَدَ إِذَا كَرِهْتَ الْمَقَامَ بِهِ وَإِنْ كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ. قَالَ الْخَطَّابِيُّ: وَأَصْلُهُ مِنَ الْجَوَى وَهُوَ دَاءٌ يُصِيبُ الْجَوْفَ".

¹² المشقص: نصل سهم طويل عريض.

¹³ مفاصل الأصابع، وواحدتها: بُرْجُمَةٌ.

¹⁴ اندفع الدم منهما بشدة.

¹⁵ وهنا سؤال أتوجه به لكل شيعي مبيغض للصحابة رضي الله عنهم: إذا كان هذا حال من هاجر ولم يحفظ له شيء في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم، وقتل نفسه، فما ظنك بمن هاجر، نصر الله به دينه، ونبيه صلى الله عليه وسلم، ولم يقتل نفسه؟! أين عقولكم يا مبيغضني صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم!!!

¹⁶ انظر صحيح مسلم 4/2118.

¹⁷ شرح صحيح مسلم (17/82).

¹⁸ فتح الباري (517/6-518).

¹⁹ أبو داود وصححه الألباني.

ففي سنن أبي داود والترمذي، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُبَيِّنُ بَيْنَ أَظْهَرِ الْمُشْرِكِينَ، لَا تَرَأَى نَارَهُمَا»²⁰.

القسم الثاني: من تجب عليهم، لكنهم معذورون في عدم القيام بها.

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ أَسْوَءَ فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا. إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا. فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا } (النساء: 99-97).

القسم الثالث: من يتمكن من إظهار دينه ولا يضيق عليهم، وهذا تستحب في حقه، ولا تجب عليه.

القسم الرابع: من كان بقاؤهم في دار الكفر أولى من هجرتهم.

جاء في الموسوعة الفقهية الكويتية بعد ذكرها للأقسام السابقة: "وزاد الشافعية قسماً رابعاً: وهو من يقدر على إظهار دينه في دار الحرب، ويقدر على الاعتزال في مكان خاص، والامتناع من الكفار، فهذا تحرم عليه الهجرة، لأن مكان اعتزاله صار دار إسلام بامتناعه، فيعود بهجرتة إلى حوزة الكفار، وهو أمر لا يجوز، لأن كل محل قدر أهله على الامتناع من الكفار صار دار إسلام".
ومن هؤلاء السفراء، فإن مكثهم فيها متعين؛ للقيام على شؤون رعايا بلادهم من المسلمين.

ومنهم العيون الذي يبعثون بالأخبار إلى الدولة المسلمة.

ومنهم الدعاة، والقائمين على أمر الجاليات المسلمة.

وطالب علم لا ينأى له أن يتعلمه في بلاد المسلمين. والله أعلم.

إشكال وجوابه:

لو قيل: كيف نوفق بين الحديثين: حديث الشيخين: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا»، وحديث: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها» الذي رواه أحمد وأبو داود.

فالجواب: أن الهجرة المنقطعة هي الهجرة من مكة إلى المدينة، أو الهجرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث لنصرته والجهاد معه، وأما الهجرة الباقية فهي الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام.

الهجرة السورية الصغرى:

عندما قام الشعب السوري في الثمانينيات بالثورة الأولى ضد النظام النصيري والبطش الذي قام به النظام اضطر الكثير من السوريين إلى الهجرة الأولى خوفاً على حياتهم من الظلم الذي اتبعه النظام ومن قام وقتها بالهجرة توجه إلى بلاد المسلمين بحثاً عن الأمان واندمج السوريين مع هذه المجتمعات من خلال العمل بالعلم والتجارة والصناعة والحرفية واستقر الحال بالكثيرين منهم في تلك البلدان وكانت المؤشرات تدل على عدم الرجوع لسورية في ظل الحكم القائم هنا عمل الناس بجد للعيش مع الواقع الجديد وكانت هذه الهجرة لعينة من السوريين الذين رفضوا الظلم والخضوع لنظام طائفي. هنا كانت اسباب الاندماج بالمجتمعات الجديدة قراراً لا بد منه حيث لم يكن بالمكان العودة بأي حال من الأحوال. هنا نلاحظ ما يلي:

- المهاجرون السوريون كانوا نخبة من رجال الدين والعلم ومن التجار والصناعيين.
- الفئات التي هاجرت وقتئذ كانت صفة مشتركة بينهم وهي التمسك بالدين الحنيف.
- خرج السوريون المهاجرون من بلادهم بغية العمل من جديد وتقديم خبراتهم للمجتمعات الجديدة

- المجتمعات التي وصل إليها المهاجرون كانت مساندة للسوريين القادمين وكانت قوانين تلك البلدان تسمح لهم بالاستقرار.
 - لم توضع قوانين في تلك البلدان حول عزل السوريين في معسكرات والمتاجرة بهم طلباً للمعونات
 - أعداد المهاجرين كانت محدودة والعينات المهاجرة كانت ذات كفاءات في غالبيتها.
- الهجرة السورية الكبرى:**

بعد انتصار النظام النصيري على الثورة الأولى تعلم دروس جديدة في اخضاع السوريين فقام على تمكين زمام الحكم في طائفته واعتمد على فئة من السوريين خارج الطائفة من خلال تنظيمات حزب البعث والشبيبة والطلائع واصبح هؤلاء اكثر ولاء له من الطائفة نفسها واعتمد على نشر الفساد بينهم حتى لا يبقى فيهم شخصاً يستطيع أن يدعى الطهارة.

ومع بدء الثورة السورية الكبرى ضد الحكم النصيري لم يصدق القائمين على النظام الأمر فقد كانوا ظانين أن تجربة الثورة الأولى أنهت التفكير في عمل ثوري ضده وكانت الشرارة الأولى من أطفال سوريين بدأت بكتابات على الجدران.

وسرعان ما تحركت الثورة في مختلف المحافظات السورية، وبدأ النظام كعادته بالقمع والاعتقال والقتل وهنا بدأت الهجرة السورية الكبرى حيث خرج آلاف السوريين نحو البلدان المجاورة طلباً للأمان أو هرباً من الاعتقال أو الموت أو فرص الحياة الأفضل! هنا لم تكن الهجرة لفئات مميزة من السوريين اختلط الحابل بالنابل وبدأت الناس تتدفق على الدول المجاورة بأعداد ضخمة. لم تكن القوانين لاستقبالهم واضحة وبدأت تجارة الدول لاستغلال اللجوء وتدفق الأعداد باتجاه الدول الاسلامية وغير الاسلامية.

هنا بدأت الدول غير الاسلامية باستدراك الوضع ووضعت قوانين اللجوء واستغلت الامر للتعويض عن التناقص السكاني في بعض البلدان وحاجتهم لقوى عاملة جديدة.

التكيف الاجتماعي Social Accommodation:

التكيف بمعناه الواسع: هو قدرة الإنسان على البقاء حياً في ظل أفسى الظروف الطبيعية والبيولوجية والاجتماعية. أما التكيف الاجتماعي فهو عملية اجتماعية وظيفتها تقليل أو تجنب الصراع بين القادمين والمستوطنين. أما المضمون النفسي للتكيف الاجتماعي فيشير إلى السلوك الفردي أو الجماعي لتقليل مواقف الصراع، من خلال تجنب مظاهر العداء، حيث تقوم الحكومات بتقديم بعض المساعدات كتعويضات اقتصادية أو اجتماعية أو نفسية للقادمين أو اللاجئين.

والفرق واضح بين التأقلم والتكيف، حيث أن التأقلم يشير لتلاؤم السلوك الانساني مع ظروف البيئة الطبيعية. أما التكيف فيرتبط مع ظروف البيئة الاجتماعية.

اللاجئين السوريين والتكيف الاجتماعي مع المجتمعات:

خلق الله تعالى الإنسان وجعله ضمن مجتمع من البشر، فالإنسان لا يستطيع العيش بمعزل عن باقي البشر في مجتمعه، فكما قال عزوجل في كتابه الكريم: "وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا" إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ"، وجعل له القدرة على التكيف مع جميع الظروف المحيطة به، ومن هذه الظروف المجتمع والبيئة التي يعيش فيها، حتى يستطيع تحقيق ما يسمى التكيف الاجتماعي، ليحقق الغاية من وجوده على الأرض، ألا وهي إعمار الأرض.

مظاهر التكيف للتكيف مع المجتمع عدة مظاهر، فعندما توجد هذه المظاهر في أي شخص نستطيع القول بأنه متكيف مع مجتمعه، ومن هذه المظاهر: الراحة النفسية والقدرة على التغلب على جميع العقبات والمشاكل التي تواجه الفرد في حياته. تفوق الفرد في عمله. عدم إصابة الفرد بأي مرض ناتج عن المشاكل النفسية، مثلاً: أمراض القلب والسكري وضغط الدم. تحديد الفرد لأهداف واقعية، وبذل جهده لتحقيق هذه الأهداف. القدرة على إدراك عواقب الأمور وضبط الذات. القدرة على تكوين علاقات مع الآخرين قائمة مبنية على الثقة المتبادلة. قدرة الفرد على تحمل المسؤوليات الموكلة إليه. حب الآخرين والسعي لخدمتهم والتضحية من أجلهم.

كيف يستطيع الفرد تحقيق التكيف الاجتماعي حتى يتكيف الإنسان مع المجتمع الذي يعيش فيه عليه سلوك ما يلي:

الحرص الدائم على التفاعل مع الآخرين، والشعور الدائم بالحاجة إلى الآخرين وحاجتهم إليه، والإحساس بعدم القدرة على الإستغناء عنهم . تفهم الآخرين ومشاعرهم وأفكارهم واتجاهاتهم، واحترامهم . التواضع للآخرين، وعدم التكبر والتعالي عليهم . عدم الإكثار بالحديث عن الذات والقدرات والعلم الذي يمتلكه الفرد . حب الخير للآخرين وعدم ايدائهم . السير وراء الشعاع " والكاظمين الغيظ والعاقين عن الناس والله يحب المحسنين "، فالصفح والعفو عن الآخرين والتماس الأعداء لهم يقربهم منك أكثر . الصبر على ما تكرهه من الآخرين، وليكن ذلك ابتغاء مرضاة الله عز وجل . البدء بالسلام والسؤال عن الآخرين.

التكيف الاجتماعي في ظل المجتمعات الجديدة

يمكن القول أن للتكيف عاملان أساسيان: العامل الأول: الاستيعاب أي المقدرة على استيعاب البيئة الجديدة من قوانين وأنظمة ونظم اجتماعية وتعليمية وقانونية، ومقدرة الفرد على فهمها وتنظيمها مع تاريخه السابق في ظل قوانين أخرى ومثال على ذلك استيعاب الفردية التي تمنحها بعض المجتمعات لأفرادها كالإستغلال المسموح به للأولاد، أو التوافق ما بين العمل لساعات طويلة والدراسة بنفس الوقت، أو موضوع وادب دفع الفواتير والضرائب في أوقاتها [21,22].

العامل الثاني: هو التمثيل ويقصد به قدرة الفرد على تفسير استيعابه وفهمه بشكل صحيح وإعادة بثه للبيئة الجديدة بشكل سلوكي مقبول للمجتمع الجديد. مثال ذلك التمثيل في سلوك الاحترام للقوانين المدنية أو قوانين المرور يصنف بعض الباحثين التكيف لعدة أنواع نشير إليها فيما يلي:

1- **التكيف البيئي:** أي قدرة الفرد للتكيف مع متغيرات البيئة الطبيعية، كاختلاف درجات الحرارة بين بيئة المهاجرين وبيئة المجتمعات الجديدة. قد تنعكس حالات عدم التأقلم البيئية من ايعازات الجسم كحالات عصبية أو حالات نفسية كآلام في المفاصل والقولون أو الخمول والكسل؟

2- **التكيف الغذائي:** ونعني بذلك طبيعة المأكولات وكميات اللحوم أو أنواعها واختلاف المشاييب فبعض المجتمعات تبيح تناول الخمور والبعض الآخر لا يتقبل بسبب تعاليم دينه تقبل ذلك، فقد لا يستطيع المهاجر التأقلم مما يسبب اضطرابات غذائية مثل ارتفاع الكوليسترول والتهاب المفاصل.

3- **التكيف اللغوي:** اللغة امر ضروري للتفاهم، لذلك يقوم المهاجرون بتعلم لغة المجتمعات الجديدة وتظهر الصعوبة لدى كبار السن وينعكس ذلك على صعوبة توفير مصدر الرزق والعمل بدون اللغة.

4- **التكيف المدرسي:** يرتبط ذلك بفئة الاطفال والشباب ولسهولة الاندماج بالمجتمعات الجديدة من الضروري التأقلم مع نوعية التعليم واندماج الاطفال والشباب مع اطفال وشباب المجتمعات الجديدة. تمنح المدارس فرصة التعلم والاختلاط مع المجتمعات الجديدة والتكيف السريع للجيل الناشئ من المهاجرين مع المجتمعات التي هاجروا إليها. وعدم اللجوء لفتح مدارس خاصة بهم والاصرار على عدم التكيف بالتعليم يبقى حجر عثرة على أمل أن يعودوا لمجتمعاتهم السابقة إن تمطنوا من العودة.

5- **التكيف الاجتماعي:** ويعد أوسع وأشمل التصنيفات عادة يتهيب المهاجرون الاختلاط مع المواطنين الجدد، ويتطلب التكيف الاجتماعي التبادل الاجتماعي كالشراء والبيع والتزاوج والقاء التحية على الجيران، تقوم الاسر المهاجرة بارضاء المجتمع الجديد من خلال كسبها لبعض العادات المقبولة لدى الطرفين. فالتكيف لا يقتصر على فئة عمرية دون أخرى، فقد تكون سريعة عند فئة أكثر من غيرها، عليه نذكر أهم العوامل التي تساعد الافراد المهاجرين للتكيف مع المجتمعات الجديدة:

الرغبة الحقيقية في الانتماء وهذه ناحية مهمة لتخطي مشاعر الغربة وعتبار المجتمع الجديد هو مجتمعهم وهي عملية اعادة التوطين.

النكء الفردي والاجتماعي مهم في تخطي المعوقات من خلال استخدام العقل في حل المشكلات التي قد يسببها بعض الافراد سواء من المهاجرين أو المواطنين. متابعة التحصيل العلمي ورفع الكفاءات فالمجتمعات الجديدة ترحب بزوي الخبرات من العلميين أو المهنيين.

الشعور بالامان والاطمئنان وهذا من اهم الامور التي يسعى اليها المهاجرون من خلال تيسير موضوع وثائقهم وعدم استغلال حاجتهم للثبوتيات ومنحهم اقامات طويلة الأمد أو التجنيس مما يوطد عملية التكيف وخدمة المجتمع الجديد.

الانخراط في الدراسة الاكاديمية وهذا يعطي صورة عن ثقافة وتفكير المجتمعات الجديدة وطموحاتها غي البناء والتقدم والحضارة.

البحث عن فرص عمل مناسبة فالعمل يتيح فرصة التواصل بالآخرين وتبادل المودة والاحترام. حب الاستطلاع والتعرف على المجتمع الجديد يعد مهماً نحو التكيف.

تكوين صداقات وعلاقات اجتماعية مع الافراد الاصليين مهم للغاية ضمن موضوع التكيف.

يلعب الاعلام بكافة اشكاله دوراً مهماً للغاية في موضوع التكيف والتوطين.

أوجه الشبه بين واقع الناس اليوم وحال الناس في زمن النبي عليه الصلاة والسلام.

الهجرة الأولى في احداث حماة قد تتشابه مع الهجرة في زمن النبي، الهجرة الثانية خرج فيها كثير من السوريين بطوائفهم المتعددة وغاياتهم المختلفة والمتباينة كذلك اختلفت اسباب هجرتهم.

بيان الفارق بين الهجرة إلى البلدان الاسلامية، والهجرة إلى بلاد الكفر.

الأصل في السفر والانتقال من بلاد الشام إلى البلاد غير الإسلامية في الظروف الحالية هو: المنع، ويُستثنى من ذلك المضطرب الذي لا يجد بلدًا من بلاد المسلمين يعيش فيها، فيجوز له الانتقال للعيش في بلاد الكفار على أن ينتقل منها متى ارتفعت ضرورته، وكذلك التجنس بجنسية الدول غير الإسلامية لا يجوز إلا لمن اضطر إلى ذلك، وبيان ذلك في النقاط التالية:

أولاً: الواجب على المسلم المضطرب للخروج من بلده: البحث عن بلاد إسلامية يأمن فيها على دينه ونفسه وماله، ويختار من هذه البلاد أسلمها لدينه، وأحفظها لعرضه .

قال تعالى: (وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مَرَاغِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً) (النساء: 100)

قال الطبري في " تفسيره ": "ومن يفارق أرض الشرك وأهلها هرباً بدينه منها ومنهم، إلى أرض الإسلام وأهلها المؤمنين... يجد هذا المهاجر في سبيل الله مهراً ونجاةً، ورحاباً فسيحة". بتصرف يسير.

وكما اسلفنا فقد جاء في حديث توبة قاتل المئة نفس: انطَلِقْ إِلَى أَرْضٍ كَدًّا وَكَدًّا، فَإِنَّ بِهَا أَنْاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سُوءٍ (متفق عليه، واللفظ لمسلم).

ولا شك أن العيش في بلاد المسلمين له أثرٌ ظاهرٌ على الإنسان في طاعته وعبادته، وتربية أبنائه.

ويجتنب المسلم السفر، والهجرة إلى البلاد التي ينتشر فيها الكفر، ويكثر فيها الفساد والفتن - بلاد الغرب- لما في ذلك من مخاطر كثيرة، منها:

1- الفتنة في الدين بسبب حال تلك المجتمعات من الفساد الديني، والانحلال الخفي في مختلف مجالات الحياة، والأماكن الخاصة والعامة، ووسائل الإعلام وغيرها.

2- الخشية على مستقبل الأبناء، لنشأتهم في مجتمع لا يراعي الدين والأخلاق في المدارس، وأنظمة التعليم، وجميع مرافق المجتمع، مما يُنذر بخطر انحرافهم، وربما انسلاخهم من الدين بالكلية.

3- ما تحويه قوانين تلك البلدان من أحكام مخالفة للشريعة تُخل بقيام الرجل على أسرته، وتتيح للدولة انتزاع الولاية على الزوجة والأبناء، وتوكل أمر رعايتهم وتربيتهم لأسرٍ أو مؤسسات.

5- عدم القدرة على القيام ببعض شعائر الإسلام في بعض تلك البلاد.

6- خطر الافتتان بالكفار، أو الوقوع في محبتهم، أو الرضى بدينهم، أو منكراتهم، أو موالاتهم، وإعانتهم على المسلمين؛ بسبب طول المعاشرة، وكثرة المخالطة.

ثانياً: يختلف حكم الإقامة في بلاد الكفر بحسب أحوال الإنسان [27]، والظروف المحيطة به:

1- لا تجوز الإقامة في تلك البلاد، واللجوء إليها إذا خشي المسلم الفتنة في دينه، سواء كان ذلك من قبيل الشبهات، أو الشّهوات، أو كان مستضعفاً لا يتمكن من إقامة الشعائر الإسلامية، أو لا يأمن على نفسه، أو ماله، أو عرضه؛ لأن الله تبارك وتعالى توعد الذين يتركون الهجرة من بلاد الكفر إلى دار الإسلام، وهم على هذه الحال، فكيف بمن هاجر إليها؟! قال سبحانه: إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجَرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا. (النساء: 98)

قال ابن كثير في "تفسيره": "هذه الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين ظهري المشركين، وهو قادرٌ على الهجرة، وليس متمكناً من إقامة الدين، فهو ظالمٌ لنفسه، مرتكبٌ حراماً بالإجماع، وبنص هذه الآية."

وقال النووي في روضة الطالبين: "المسلم إن كان ضعيفاً في دار الكفر لا يقدر على إظهار الدين، حرّم عليه الإقامة هناك، وتجب عليه الهجرة إلى دار الإسلام."

وقد بايع النبي -صلى الله عليه وسلم- عدداً من الصحابة على الإسلام، واشترط عليهم عدم الإقامة بين المشركين، ففي حديث بَهْرَ بْنِ حَكِيمٍ، عن أبيه، عن جَدِّهِ : أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- قال له: لَا يَقْبَلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ مُشْرِكٍ بَعْدَمَا أَسْلَمَ عَمَلًا، أَوْ يُفَارِقَ الْمُشْرِكِينَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ (رواه النسائي، وابن ماجه).

قال ابن حجر في " فتح الباري " عن هذا الحديث وما جاء في معناه من الأحاديث: " وهذا محمودٌ على مَنْ لم يأمن على دينه."

2 -يجوز السفرُ إلى بلادِ الكفرِ الأمانةِ للمضطَرِّ إذا لم يجد بلدًا مسلمًا آمنًا يقيم فيه، أو يلجأ إليه، ويتقي الله في دينه ما استطاع، كما هاجر المسلمون المستضعفون إلى بلاد الحبشة؛ لأنَّ فيها ملكًا عادلًا، لا يُظلم عنده أحدٌ، وتقيده بالمضطَرِّ؛ لما سبقت الإشارةُ إليه من المفاصد الكثيرة في الإقامة بينهم، التي إن سلم من بعضها فلا يسلم من بعضها الآخر.

قال ابن حزم في " المحلى " : "وأما مَنْ فرَّ إلى أرض الحرب؛ لظلمِ خافه، ولم يحارب المسلمين، ولا أعانهم عليهم، ولم يجد في المسلمين مَنْ يُجيرُه، فهذا لا شيءٌ عليه؛ لأنه مضطَرٌّ مُكْرَهُ."

ومما يلحق بالضرورة، أو الحاجة التي تنزل منزلتها في الظروف الحالية عدم القدرة على الوصول إلى بلاد إسلامية، أو عدم سماحها له بالإقامة فيها، أو الحاجة إلى علاج لا يتوفر إلا فيها، ونحو ذلك، ويسعى جهده في حفظ نفسه، ومن ولاه الله أمرهم.

ومن سافر إلى تلك البلاد مضطراً فعليه أن ينوي الرجوع والانتقال لإحدى البلاد الإسلامية متى زالت الضرورة، وقدّر على ذلك.

ولا ينبغي للمسلم أن يتساهل في الإقامة بين الكفار لغير ضرورة، كفضول التكسب، أو الترفه في المعيشة، بل يصبر نفسه مع المسلمين، ويحتسب ذلك عند الله تعالى؛ صوتاً لدينه وذريته، ولا يعرض نفسه للبلاء والفتن.

ثالثاً: ويتأكد المنع في حال اللاجئين السوريين إذا نُظر إلى ما يكتنف هذا اللجوء والإقامة من مخاطر عظيمة أودت بحياة الكثيرين، ومفاصد كثيرة، ومنها:

-عدم أمن الطرق، وغلبة احتمال الهلاك، كما في السفر بالزوارق البحرية عن طريق التهريب.

-التكاليف المادية الباهظة، وما يصاحب ذلك من احتيال، وتزوير يتحمل المسافر تبعته عند اكتشافه.

-فقد البلاد الشامية لذات أكبادها، وخيرة أبنائها، وهجرة نخبتها، وأصحاب العقول فيها وهي أحوج ما تكون إليهم؛ ليرابطوا على ثغورها في مختلف المجالات العسكرية، والإغاثية، والإعلامية، والتربوية، وغيرها.

-مساعدة النظام في تحقيق أطماعه في تهجير أهل السنة، وتفرغهم من مناطقهم واستبدالهم، وصولاً إلى تغيير تركيبة السكان في البلاد.

رابعاً: في التجنس قدرٌ زائد على مجرد الإقامة بالخضوع والتبعية للتولة صاحبة الجنسية، والتعهد بالحفاظ على نظمها السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والاستعداد للدفاع عنها، وقد يؤدي للولاء لها، ومسألة التَّجَنُّس من النوازل التي اختلفت فيها أنظارُ المفتين بحسب الأحوال والصّور.

والذي يترجح: تحريمُ التَّجَنُّسِ بجنسية الدُولِ غيرِ الإسلاميّة، إلا في حال الصّورة، كمن فقد جنسيته بسبب الاضطهاد في بلده، أو ضيق عليه بسببها، أو عجز عن استخراج الأوراق الثبوتية اللازمة، ولم يستطع أن يحصل على جنسية بلدٍ من بلاد المسلمين.

قال الشيخ علي الطنطاوي في "فتاواه": "ومن الممنوع على المسلم أن يأخذ جنسية دولة غير مسلمة؛ لأنه يكون حينئذٍ ملتزماً بإطاعةٍ أو امرها، واتباع قوانينها، بحيث لا يجوز له مخالفتها، أو الخروج عليها، إلا إذا اضطرَّ إلى ذلك اضطراراً، ولم يعمل ما ينافي شرع الله."

وقال الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي الدولي الشيخ محمد الحبيب ابن خوجة في بحثه المنشور في مجلة المجمع الفقهي [27]:

"التَّجَنُّسُ بالجنسيات غير المسلمة سواءً كانت أمريكيةً، أو أوروبيةً، أو غيرها، قد تكون جائزةً إذا دعت الضرورة إليه، لا حباً للتشبه بأهل الكفر والتَّسْمِي بأسمائهم، أو الاتصاف بصفاتهم، بشرط أن لا يؤدي هذا التَّجَنُّسُ إلى تعطيل أو نقص شيءٍ من أمور دينه، أو يجره إلى موالات أعداء الله، وإلا فلا، قال تعالى: {إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ} الخ الآية}. أما إن كان التَّجَنُّسُ يتضمن موالاتاً تامّةً للكافرين، أو الرضى عن دينهم، أو تفضيل القوانين الجاهلية على أحكام الشريعة، أو الرضى بها: فهذا من الردّة، والعياد بالله.

وأخيراً:

ينبغي على من اضطرَّ للخروج من سورية -وخاصةً اللاجئين إلى بلادٍ أجنبية، أو بعيدة- الاستمرار في مناصرة إخوانهم في سورية، ودول اللجوء، بالإعانة المادية المختلفة، والدعم المعنوي: بالتواصل والتنشيط والتصبير، والمشاركة في الفعاليات الدعوية، والاجتماعية والسياسية وغيرها لنصرة الشعب المجاهد، وبذل المستطاع للتواصل مع المفكرين والكتّاب والصحفيين، من أجل إبراز القضية للناس في البلد الذي يعيشون فيه، والحرص على قول الحقيقة.

أثر الواقع الديني في التكيف الاجتماعي

تعد الأديان من أقدم المؤسسات الفكرية الاجتماعية عبر التاريخ الإنساني، وهي موجودة في كل المجتمعات الإنسانية لتسد احتياجات مهمة لإفراد هذه المجتمعات من الناحية الاجتماعية والنفسية، فالدين يدفع الأفراد إلى تغليب مصلحة الجماعة على المصلحة الخاصة وتغذي بذلك ما يسمى بالعاطفة الجماعية [23] يتميز الدين الإسلامي بهذا المجال لما يتمتع به من المرونة والعقلانية والبحث والاقتناع بالحقيقة، وهو دين يدعو إلى المعرفة والحقيقة والانفتاح على العالم والتطور والحوار المستمر والتواصل وتأسيس لغة التعايش

مع الآخر [24] وتعد حالة الانفصام بين الدين والتمدن الذي يعيشه الغرب من اهم الاسباب لكثير من الاضطرابات النفسية والدخول في الدين الاسلامي.

إن تراكم مجموعة من التأثيرات السلبية على المجتمع السوري وابتعاده عن الدين في ظل اباحة الرشوة والمحسوبيات والفساد الاخلاقي والخلقي جعل الكثير منهم يعاني من صعوبات للتأقلم مع المجتمعات التي وصلو اليها كمهاجرين حيث تود معظمهم على تسهيل الامور بالرشوة أو التحايل على القانون أو ادخال هذه المفاهيم للمجتمعات الجديدة. والتي انعكست سلباً على موضوع التكيف الاجتماعي فظهرت حالات فردية رافضة للتكيف مع أي قوانين. كما أن متابعة المهاجرين إلى الدول الاوربية واصطدامهم بالقوانين وصعوبة تطبيق ما تعودوا عليه خلال السنن الماضية بتجاوز القوانين الضابطة اصاب العديد منهم بالصدمة ومنهم من عاد لبلده بسبب ذلك [22,23,24,25,26].

تشير دراسة اجريت على عينة من (200) طالباً وطالبة منهم (100) من الذكور، و(100) من الاناث، عن وجود تأثير جوهري لاتجاه الطلاب نحو الالتزام الديني في مستوى تكيفهم النفسي والاجتماعي [21].

أهمية الدين أو التوحد مع النظام الديني

بدأت حديثاً اتجاهات بين بعض علماء النفس تنادي بأهمية الدين أو التوحد مع النظام الديني في بناء الصحة النفسية والتكيف النفسي والاجتماعي للإفراد، مما يساعدهم في حل مشكلات الحياة ويجنبهم الفلق الذي يتعرض كثير منهم، وبخاصة إنهم يعيشون في عصر يسيطر عليه الاهتمام الكبير بالحياة المادية، والتنافس الشديد في المصالح والمغريات الاجتماعية والاقتصادية، ويفتقر في الوقت نفسه إلى الغذاء الروحي مما انعكس على حياة هؤلاء الأفراد سلباً وأصبحوا عرضة للإصابة بالأمراض والاضطرابات النفسية والأزمات الاجتماعية، حتى أصبح يعرف هذا العصر بعصر الفلق والاضطراب النفسي.

يزود الدين الفرد بنسق من القيم والمبادئ والمعايير والعلاقات الاجتماعية التي توفر له التكيف مع المجتمعات الجديدة، حيث أن سلوك الإنسان لا يضطرب لوجود القيم والمعايير الأخلاقية الضابطة كما يدعي البعض وإنما يضطرب عندما يبتعد الفرد عن هذه المعايير وعن فطرته التي خلقه الله تعالى عليها [27].

1. إن الدين فطري لدى الإنسان قد تساعد على ظهوره عوامل التنشئة الاجتماعية.
2. إن الدين علاقة وجدانية روحية بين الفرد وخالقه هذه العلاقة لها صدى في ضمير الفرد وجدانه وتصبح المحرك الأساسي لسلوكه ومعاملاته وأخلاقه.

3. يعتبر الدين ذو طبيعة داخلية لدى الفرد.

4. الدين يعطي الفرد المتدين قوة يستمدّها من قوة عليا داخلياً وخارجياً ويخلصه ذلك من مشاعر الذنب واليأس والقنوط وينمي لديه الخصائص النفسية الايجابية كالصبر والإيثار والتسامح والمودة.

5. إن يهدف إلى تنظيم العلاقات بين الناس وتنظيم حركة الحياة على مستوى الفرد والمجتمع.

6. يقلل الالتزام بالدين وتعاليمه من مشاعر الصراع والإحباط داخل النفس.

7. يدعو الدين إلى التكامل بين السلوك الظاهري والضمير الداخلي.

التوصيات

- دعوة الشباب المسلم للتمسك بالدين الإسلامي الحنيف المعتدل بعيداً عن التطرف والتعصب لأن الالتزام بهذا الدين هو السبيل للوصول لتحقيق الذات والاكتفاء النفسي والاجتماعي.

- دعوة المؤسسات التربوية والتعليمية في المراحل المختلفة إلى تكثيف الجهود لتوجيه وإرشاد الأطفال والشباب لتعاليم الدين ومبادئه السمحة، ويكون ذلك عن طريق زيادة مواد الثقافة الإسلامية التي تتضمن تعريف الطالب بنظم الإسلام الاجتماعية، والاقتصادية، والإدارية، والسياسية.
- توفير المرافق والمؤسسات والمراكز الترفيهية المناسبة والملائمة لتعاليم الدين لرعاية الشباب والمراهقين لمساعدتهم على قضاء وقت الفراغ لديهم وتدريبهم على المسلكيات الاجتماعية وتنمية روح المشاركة والتعاون لديهم.
- التوجه نحو الإرشاد الديني في إرشاد الشباب ومعالجة مشكلات الزواج لديهم، وحالات القلق من المستقبل والاستقرار، والشعور بالذنب، والكتابة والمشكلات الجنسية والإدمان، وذلك بهدف تحرير الفرد من مشاعر الاثم والخطيئة ومساعدتهم على تقبل ذواتهم وإشباع حاجاتهم للأمن والاستقرار النفسي.
- ضرورة العمل على نشر الثقافة الدينية بين المراهقين بالاستعانة بتعاليم الدين في مختلف مجالات الحياة من مثل مشكلات الشباب والتعليم والأسرة.
- دعم الجهات التي تعمل على توفير التعليم للاجئين وعدم ترك الجيل الناشئ دون تعليم أو إرشاد وتوفير فوص العمل لهم.
- الاهتمام بتعليم الأفراد منذ الطفولة تعاليم الدين وذلك حرصاً على أن يخرج للحياة وقد تمكن من السيطرة على انفعالاته ونزعاته بشكل يساعده على التكيف الحسن مع نفسه ومع الآخرين.
- اتخاذ الوسائل الكفيلة بدعم مناهج التربية الدينية العامة والمتخصصة في مراحل التعليم المختلفة وتطويرها باستمرار لئلا تناسب مع تطور الحياة وتطور المجتمع، من خلال ربطها بمشكلات الأفراد وحياتهم، واستخدام الأساليب المبتكرة لتدريسها.

المراجع:

- [1]. انظر لسان العرب (5/250)، مادة (هجر).
- [2]. التعريفات للجرجاني (256).
- [3]. الفتح (1/16).
- [4]. تفسير القرآن العظيم (6/290).
- [5]. السابق (2/391).
- [6]. تفسير الطبري (17/205).
- [7]. تفسير القرآن العظيم (5/443).
- [8]. في جانبها وطرفها بداخلها.
- [9]. متوسطها.
- [10]. شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال (383).

- [11]. قال النووي: "هُوَ بِضَمِّ الْوَاوِ الثَّانِيَةِ ضَمِيرِ جَمْعٍ، وَهُوَ ضَمِيرٌ يَعُودُ عَلَى الطُّفَيْلِ وَالرَّجُلِ الْمَذْكُورِ وَمَنْ يَتَّعَلَقُ بِهِمَا، وَمَعْنَاهُ: كَرِهُوا الْمَقَامَ بِهَا؛ لِضَجَرٍ، وَنَوْعٍ مِنْ سَقَمٍ. قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ وَالْجَوْهَرِيُّ وَغَيْرُهُمَا: اجْتَوَيْتَ الْبَلَدَ إِذَا كَرِهْتَ الْمَقَامَ بِهِ وَإِنْ كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ. قَالَ الْخَطَّابِيُّ: وَأَصْلُهُ مِنَ الْجَوَى وَهُوَ دَاءٌ يُصِيبُ الْجَوْفَ".
- [12]. المشقق: نصل سهم طويل عريض.
- [13]. مفصل الأصابع، وواحدتها: بُرْجُمَةٌ.
- [14]. اندفع الدم منهما بشدة.
- [15]. وهنا سؤال أتوجه به لكل شيعي مبغضٍ للصحابة رضي الله عنهم: إذا كان هذا حال من هاجر ولم يحفظ له شيء في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم، وقتل نفسه، فما ظنك بمن هاجر، نصر الله به دينه، ونبيه صلى الله عليه وسلم، ولم يقتل نفسه؟! أين عقولكم يا مبغضي صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم!!
- [16]. انظر صحيح مسلم 4/2118.
- [17]. شرح صحيح مسلم (17/82).
- [18]. فتح الباري (518-6/517).
- [19]. أبو داود وصححه الألباني.
- [20]. أبو داود والترمذي.
- [21]. الاتجاه نحو الالتزام الديني وعلاقته بالتكيف النفسي والاجتماعي لدى طلبة جامعة القدس المفتوحة، د. زياد بركات، 2006
- [22]. الحوار المتمدن، لبنى الجادري - العدد: 3053 - 2010 / 7 / 4 - 09:41 المحور: الفلسفة، علم النفس، وعلم الاجتماع.
- [23]. التداييع النفسية والاجتماعية لظاهرة التعصب. الشبكة العالمية للمعلومات، البصري، سعد 2003
- [24]. نحن والأخر: الانفتاح أو التعصب. النبأ، م. 6، ع. 48، السادة، مصطفى 2000
- مواقع انترنت:

[25]. <http://www.annabaa.org/naba56/tdaiaat.htm>

[26]. http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Mnfsia15/SocAccom/sec01.doc_cvt.htm

[27]. <http://islamicsham.org/fatawa/2441>